مبادئ كتابيَّة للأطفال

دروس تطبيقيَّة لعلاقة صحيحة
باللَّه والآخرين والذات

ماتيو پيرّو

المحتوى

الجزء الأوّل

علاقة الفرد باللّه ص ١٩

الجزء الثاني

علاقة الفرد بذاته ص ٥٥

الجزء الثالث

علاقة الفرد بالآخر ص ٨٩

كلمة تقدير

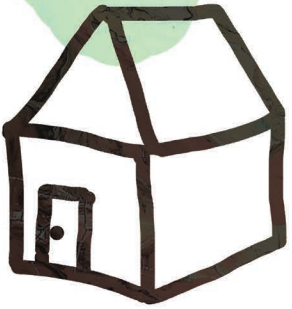

أودُّ قبل أيّ شيء أن أقدّمَ شكري لله الذي من دونه لما كان أيُّ شيء ممكنًا. شكرًا يا ربّ على الخدمة التي ائتمنتَني عليها وساعدتَني بواسطتها على أن أحقّق أكثر ممّا كنتُ أتخيّل.

أودّ أيضًا أن أشكر كنيسة Momentum مومنتوم، وبِاتريس وروزلين مارتورانو، وكلّ الفريق الرعويّ. شكرًا لكم على ثقتكم بي وعلى الحريّة التي أتحتموها لي طوال سنين.

أريد أيضًا أن أخصّص وقتًا لتكريم بعض الأشخاص الذين حفّزوني على أن أفعل ما أفعله اليوم. ليس الشكرُ كافيًا لأعبّر عن امتناني لستيفان ودومينيك، وألڤين ومونيت. إنّ شغفَكم لخدمة الأولاد ومحبَّتكم لهم، كما وتفانيكم وإخلاصَكم وقدرتَكم على سرد القصص وإبداعَكم، كانوا نقطةَ الانطلاق لما أنا عليه اليوم. فشكرًا لكم!

شكرًا لميرسيوني وكارين ودومينيك وكنيسة ريف دو جِيِي Rive de Gier؛ لقد كنتم سببَ انطلاق هذا المشروع. أشعرُ بالراحة معكم، وإنّني متشكّرٌ من أجل محبتكم.

أقدّم شكرًا جزيلاً لستيفان على مشورته والوقت الذي خصّصه لتصحيح هذا الكتاب. ابتسامتُك وتشجيعُك لي هما عزيزان عليّ. إنّك وڤاليري بمثابة دعمٍ ثابتٍ ومهمٍّ لي.

شكرًا لكِ يا فْريد على جميع الرسومات والتصاميم. يا له من لقاءٍ رائعٍ مُدبَّرٍ من الله، حتى في أدقّ التفاصيل! كما أخبرتُكِ في المرّة الأولى: أنتِ مهمّة في الملكوت.

أخيرًا، بالنسبة إلى المجلّد الأوّل من كتيّب الدروس التطبيقيّة، أودّ أن أشكرَ بعض الأشخاص المميّزين جدًّا الذين بذلوا قصارى جهدهم ووقتهم، وقد كان لي امتيازُ أن أخدمَ معهم الأطفالَ في كنيسة مومنتوم، ولهم فضلٌ كبيرٌ في تأليف هذا الكتيّب. شكرًا لسارة وليزلي وكاميل وكيليان وليبرتو. حتى لو كان بعضُكم منخرطًا في خدمة الأطفال في أماكن أُخرى (أستراليا ومدغشقر وإنكلترا)، فسوف تبقون في قلبي دائمًا. لقد جعلتموني شخصًا أفضل بفعلِ حماستكم وشغفكم الظاهرَيْن كلّ يوم. من دونكم، لما أبصر هذا الكتابُ النور. إنّني أحبّكم.

المقدِّمة

غالبًا ما يتبادر إلى مسامعنا أنّ أطفالنا هم كنيسة المستقبل. ربّما تدعو هذه الرؤية إلى التفاؤل وقد تبدو واعدةً من حيث القيادة والتأثير، لكنّها أيضًا مقيِّدَة. إنّني مقتنعٌ بشدّة بأنّ الأولاد هم كنيسة الحاضر، وبوسعهم، بل يجب أن يكونوا اليوم سببَ بركةٍ للحاضر.

لسنا مدعوّين إلى تجهيزهم من أجل المستقبل فقط، بل إنّنا مدعوّون أيضًا بتكليفٍ من الله إلى تحويل انتباههم إلى الحاضر. ولهذا السبب، لا بدّ من أن نتحلّى بالرؤية التي كانت ليسوع، ويكون لنا قلبٌ مثل قلبه: في خضمّ المهمّة الأبرز في تاريخ البشريّة، ألا وهي خلاص العالم، وفي برنامج عمل الله الناتج عن ذلك، استطاع يسوع أن يخصّص وقتًا لمباركة الأطفال، بل جعل ذلك أولويّةً. قد يكون الأطفالُ مصدرَ ضجيجٍ أو عبئًا على بعض الأشخاص، أو مضيعةً للوقت بالنسبة إلى آخرين لأنّهم مشغولون جدًّا، أو قد يظنّ بعضُهم أنّ الوقتَ ما زال باكرًا لأن يكون لديهم أطفال، لكن في نظر الله ما مِن شيء أهمّ منهم. فما اعتبره كثيرون مُعَدًّا للغد، أعلن الله أنّه معدٌّ لليوم.

إنّ الترحيبَ بالأطفال، وإعطاءَهم أهميّة، والحوارَ الصريحَ من القلب معهم، وتعليمَهم، والاستثمارَ فيهم يتطلّبُ برنامجًا خاصًّا وكاملاً. ويستلزم هذا أكثرَ من مجرّد سرد قصصٍ لهم أو تعليمهم كيف يعيشون حياة الإيمان. يجب أن نلهمَهم ليصيروا مؤمنين ويعيشوا بحسب الحقّ ويكتشفوا ما يريد الله أن يحقّقَ في حياتهم اليوم. ومن أجل حصاد الأفضل لا بدّ من زرع الأفضل، وليس هذا سرًّا.

يجب ألّا ننسى أنّنا لا نعلّمهم دروسًا أو رسالةً ما أو برنامجًا. لم يفعل الربُّ يسوع هذا قطّ، بل كان يعلّم كلَّ من كانوا حاضرين أمامه وبالتالي كان يتأقلم معهم، أي مع الجموع والتلاميذ وغيرهم. وهكذا، يتطلّب منّا تعليمُ الأولاد أن نتأقلم معهم عبر استخدام لغة معيّنة، وأسلوب معيّن في الكلام، وقصّة مناسبة، ومقطع كتابيّ مناسب، والحقيقة التي نريد أن ننقلَها لهم، والانتباه إلى الوقت المستغرق لتوصيل الرسالة، إلخ. أمّا هم فعليهم أن يتعلّموا كيف يقتربون أكثر من الرّبّ يسوع.

للأولاد قدرةٌ على أن يحلموا ويتخيّلوا ويبتدعوا. إن لم تقتنعوا بذلك، أَعطوهم ورقةً بيضاء مع أقلام ليرسموا، أو ألبِسوهم زيَّ بطلٍ خارقٍ أو أميرة، وراقبوهم وهم يبتدعون في كلّ زمانٍ ومكان. فيستخدم الأولادُ ذاكرتهم ومخيّلتهم، وبالتالي يجب أن نقترب إليهم في هذا المجال الخاصّ بهم كي نشجّعهم على أن يحلموا في حياتهم مع الله.

ربّما تعلمون أنّهم يستخدمون أنواعًا عدّة من الذاكرة؛ فيتمتّع بعضُهم بذاكرة سمعيّة، وبعضُهم بذاكرة بصريّة، وبعضُهم بذاكرة حسيّة حركيّة. لا يهدف هذا الكتيّب إلى تزويدكم بدروس جاهزة، بل إلى تلبية الحاجة إلى أن نكون مبدعين في الأساليب التي نستخدمها لتعليم الأولاد، وذلك عبر: الدروس التطبيقيّة، والتجارب العلميّة، وحياة الحيوانات، والطبيعة. بوسعنا أن نستخدم هذه الأساليب لنتواصل معهم بشكلٍ أكثر فاعليّة. وفي الواقع، تتفاعل جميعُ هذه العناصر مع أنواع الذاكرة المختلفة.

بالنسبة إلى مَن لا يزال يشكّ في فاعليّة هذه الأمور، أقول لك إنَّ كلَّ ما أتكلّم عنه مستوحى من الكتاب المقدّس، وهو ما يرغب فيه قلبُ الله، ليس أقلّ ولا أكثر. يتكلّم الربُّ يسوع نفسه مقدِّمًا دروسًا تطبيقيّة، ومعظمُ الأمثال عن ملكوت الله التي ترد في الأناجيل هي دروس تطبيقيّة. مثلاً: مثل الزارع، أو مثل حبّة الخردل. لا يقتصر التكلّمُ بالأمثال على يسوع فقط، بل استُخدِم هذا الأسلوبُ منذ أيّام إبراهيم أيضًا. أنتم تعرفون الكتاب المقدّس وتعرفون دعوةَ الله لإبراهيم ووعدَه له بأنّ فيه تتبارك جميع قبائل الأرض. يا له من مصير ويا لها من نعمةٍ ورؤية! قد نظنّ أنّ وعدًا مثل هذا يسهُل تذكّره، أليس كذلك؟ ومع ذلك، ارتأى الله أنّه من المفيد تثبيت هذه الرؤية عبر درسٍ تطبيقيّ، بل ودرسَين لأكون دقيقًا: تراب الأرض (تكوين

١٣: ١٦) والنجوم في السماء (تكوين ١٥: ٥). إنّهما قويّان جدًّا أليس كذلك؟ لكن ثمّة المزيد. انظروا إلى إبراهيم الذي كُلّما استيقظ في الصباح، كان يخرج من خيمته ويبدأ بالمشي، ومع كلّ خطوةٍ يخطوها على الأرض كان التراب يتحرّك تحته مذكّرًا إيّاه بالوعد. وفي المساء، عندما كان يخلد إلى النوم بعد يومٍ مرهق، ويرفع عينيه إلى السماء، كانت النجوم تذكّره بالوعد. ففي كلّ خطوة وفي كلّ صباحٍ ومساءٍ كان الوعدُ قائمًا في ذهنه، ويعود الفضل إلى الدروس التطبيقيّة.

وهناك المزيد؛ فقد كان الله يكلّم نفسَه أيضًا بالدروس التطبيقيّة. نعم هذا صحيح! لا بدّ من أنّكم رأيتم ظاهرةً في السماء وُجِدت منذ قرون وأجيال كثيرة وتُثير إعجاب الصغار كما الكبار وتَحدُث كلّما أشرقتِ الشمسُ في أثناء المطر. نعم، إنّني أتكلّم عن قوس القزح. لكن في الجوهر، هل هي مجرّد ظاهرة بصريّة ومناخيّة تجعل طيف الضوء المستمرّ ظاهرًا في السماء؟ لا، بل هي درسٌ تطبيقيٌّ به يذكّر اللهُ نفسَه بالوعد الذي قطعه على نوح وهو ألّا تهلك الأرض عبر مياه الطوفان (تكوين ٩: ١٣- ١٦). هذا لافتٌ للنظر، أليس كذلك؟

ليس هدفي أن أزوّدكم فقط بموارد، بل أن ألمسَ أيضًا قلوبكم وأثير إبداعَكم لأنّكم أنتم بالحقّ مبدعون. إلهُكم هو الخالق وروحُه القدّوس يسكن فيكم، وليس الإبداعُ شيئًا فطريًّا أو مكتسبًا، بل شيئًا نتعلّمه ونطوّره. أودّ أن أبثّ فيكم الرغبةَ في التعلّم لأنّني مقتنعٌ بأنَّ كلَّ من لا يتوقف عن التعلّم لا يتوقف أبدًا عن النموّ. خذوا نموذجًا لكم أشخاصًا ملهمين ومبدعين وعاشِروهم، واقرأوا كثيرًا، واهتمّوا بالطبيعة والعلم (نعم، يمكن للعلم أن يكون شيئًا جيّدًا ومثيرًا للاهتمام) والحيوانات، وتدرّبوا، وتعلّموا سردَ القصص، لكن لا تحدّوا أنفسَكم، بل احلموا وتعلّموا وابتدعوا وتواصلوا مع الآخرين. إذا كنتم آباء أو أمّهات، أو مدرّسين في الكنيسة، أو مرشدين على الأنشطة التي تُقام في الأحياء، أؤكّد لكم أنّكم سترون ثمرًا في حياة أولادكم بفضل طريقة التعليم هذه.

التمهيد

من أجل تواصلٍ فعّالٍ مع الأطفال، يجب قبل كلّ شيء أن نفهم كيف يتحدّث الله إلى كلٍّ واحدٍ منّا، وكيف تتجزّأ رؤيتُه في الفترات أو الفصول المختلفة من حياتنا.

في بداية الخلق يُخبرنا الكتاب المقدّس أنّه في البدء كان الله. ثمّ خلق الله الرجل ورأى أنّه ليس جيّدًا أن يكونَ الرجلُ وحده، فخلق المرأة. لم يكن الهدف التمتّع بجنّة عدن فحسب، بل أيضًا الإخصاب وملء الأرض.

تتطوّر القصّةُ مع ما يرافقها من الدراما والأبطال لتوصلنا إلى أبرام الذي سيدعوه الله بطريقةٍ مُذهلة (تكوين ١٢). وهنا أيضًا نرى أوّلاً الله ("فأجعلَك") الذي يتدخّل في حياة أبرام ("أمّةً عظيمةً") مقدّمًا رؤية عظيمة تتجاوز حياةَ أبي المؤمنين ("وتكون بركةً... وتتبارَكُ فيكَ جميعُ قبائل الأرض").

وفيما نتابع القراءة في الكتاب المقدّس، نكتشف جميعَ أنواع الأبطال والقصص البارزة إلى حين مجيء الربّ يسوع إلى الأرض. أحدُ المقاطع الكتابيّة الذي يَصِف لنا ما حدث بأفضل شكلٍ هو فيلبّي ٢. ومجدّدًا يأتي الله أوّلاً، ثمّ شخص يسوع الذي يعلَم من هو الله ويعلَم مكانته ("الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً لِلهِ"). وأخيرًا، تُقدَّم رؤيةٌ أعظم وتتوسّع من أجل خلاص الجميع ("لَكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ").

هل تفهمون كيفيّة سير العمليّة؟ في جميع الأزمنة، ما فعله الله كان دائمًا يتعلّق بالناس في ثلاثة أنواع من العلاقات: علاقتهم بالله، وعلاقتهم بأنفسهم، وعلاقتهم بالآخرين. وما زال هذا صحيحًا اليوم. وفي الواقع، منذ البداية، يجعلنا الله خليقةً جديدة بفضل موت يسوع على الصليب من أجلنا. ثمّ عندما يأتي يسوع ليسكن في قلوبنا، تُصبح أجسادُنا هيكلاً للروح القدس، ونصبح نورًا وملحًا. لكنّ هذا كلّه جزءٌ من رؤية أكبر تتجاوز حياتنا: إنّنا نقبل الروح القدس لنكون شهودًا لله في كلّ مكان وإلى أقاصي الأرض، ونكون نورَ العالم وملحَ الأرض.

لكي يكون تعليمُنا للأطفال كاملاً ويتوافق مع رؤية الله لهم، يجب أن يلمسَ دائمًا هذه الأنواع الثلاثة من العلاقات في حياتهم: الله والذات والآخرين. وبهذه الطريقة أردتُ أن أقسّم الدروس التطبيقيّة التي ستتبع. طبعًا، يمكن استخدام بعض الدروس بطرق مختلفة، لكن أترك هذا الأمر لكم ولإبداعكم.

لقد جرى تأليفُ هذا الكتاب لمساعدتكم على تعليم أولادكم في الكنيسة أو في الأحياء كلّ أسبوع، وأيضًا أولادكم في المنزل. خصّصوا وقتًا للعائلة تجتمعون فيه حول الكتاب المقدّس. اختاروا تعليمًا من هذا الكتاب وقدّموه من كلّ قلوبكم، ثمّ ناقشوه مع أولادكم وتحاوروا معًا حول الموضوع المُختار. شاركوا معًا مواضيع تصلّون من أجلها، وصلّوا وشجّعوا بعضكم بعضًا على العيش وفقًا لما تعلّمتموه. يحتاج أولادُكم إلى أن يعرفوا حقائق كلمة الله، ولكن قبل كلّ شيء أن يؤمنوا ويروا أنّها ما زالت صحيحة اليوم في حياتنا.

وأقول مجدّدًا إنّ أطفالنا هم كنيسة اليوم ويجب أن نعلّمهم وننقل لهم ما يريد الله أن يحقّق في حياتهم، بل وأكثر من ذلك، ما يريد أن يحقّق في حياة الأشخاص الذين يحيطون بهم. أصلّي أن يجهّزَكم هذا الكتاب ويشجّعَكم ويُلهمَكم ويدفعَكم للقيام بشيءٍ جديدٍ وسماويّ.